

مختارات من أشعار
سيفيريس

الشاعر اليوناني
الحائز على جائزة نوبل عام ١٩٦٣

من الشعر ٤

ترجمة وعرض وتحليل
بشار عباس

مختارات من أشعار
سيفيريس

إهـــــــداء٢٠٠٧
مديرية المطبوعات والنشر – وزارة الثقافة
الجمهورية العربية السورية

مختارات من أشعار

سيفيريس

الشاعر اليوناني

الحائز على جائزة نوبل عام ١٩٦٣

ترجمة وعرض وتحليل

بشار عباس



منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ٢٠٠٥

مخـــتارات من أشعار سيفيريس / ترجمة وعرض وتحليل بشار عباس .-
دمشق : وزارة الثقافة ، ٢٠٠٥ .- ٩٦ ص ؛ ٢٤ سم .-
(من الشعر ؛ ٤)

الشاعر اليوناني الحائز على جائزة نوبل عام ١٩٦٣ .

١- ٨٨٩ س ي ف م ٢- العنوان ٣- سيفيريس
٤- عباس ٥- السلسلة

مكتبة الأسد

من الشعر

«٤»

مُقدِّمة

« أضعت حياتي باحثاً عنها،
بين أحجار منخورة بالية»
ي. سيفيريس

عــرف العــرب واليونانيون تاريخاً مديداً من التبادل الثقافي والحضاري عبر أشكال عديدة من الفنون والعلوم و الآداب و الأساطير والفكر المعرفي و الفلسفي، وقد تبادلا المواقع في فترات متتالية تاريخيا، فقد انطلقت الأسطورة الشعرية الأولى مــن ســورية وبلاد الرافدين ومصر، ومن هذه البلاد نمت الآداب التي احتلت في نفــوس الــناس مكانة مقدسة، وقد حملت بلاد اليونان ثمرة هذه الحضارة العظيمة، فطورتها وارتقت بها، وكان الاسكندر الأكبر الرمز الأعظم لهذه الحضارة المتوسطية المشــتركة، فلم ينظر الناس في سورية ومصر و بلاد الرافدين إلى الاسكندر على أنه محــتل أو طاغية، بل أحبوه وقدسوه، ولا زالت مدن عديدة في سورية ومصر ولبنان و الأردن تحمــل أسمــاء أطلقها عليها قادة جيوش الاسكندر الأكبر. وقد تحولت الاســكندرية إلى أعظــم مــدن المتوسط في ذلك العهد المغرق في القدم، و أدت الاسكندرية دور منارة ثقافية وحضارية عظيمة في العالم القديم.

وقــد حملت الحضارة العربية الإسلامية خلاصة الفكر اليوناني وأضافت عليه وطورته ونقلته إلى أوربا التي كانت ما تزال غارقة في عصورها المظلمة.

لم يمت الإرث الأدبي الثقافي الإغريقي القديم في نفوس اليونانيين المعاصرين، فقد نمت الثقافة اليونانية الحديثة بأفضل المستويات المعروفة عالمياً، وتضم أثينا اليوم عدداً من المسارح العاملة على مدى العام يفوق ما لدى لندن أو باريس، رغم الفارق في عدد السكان بين أثينا و بينهما، والشعب اليوناني المعاصر يحب الثقافة و الآداب و الفنون، و معدلات المطالعة لدى اليونانيين عالية، وقد أنجب هذا الشعب موسيقيين وفنانين ومسرحيين وأدباء كبار مثل كازانتزاكيس صاحب قصة «زوربــاس» و «الحرية و الموت» و « مذكرة إلى إلغريكو »، كما أنجب شعراء بارزين، لم يكن سيفيريس (الحائز على جائزة نوبل عام ١٩٦٣) أولهم، و لم يكن بالطبع آخرهم، فقبله كان الشاعر اليوناني المصري الكبير كافافيس صاحب القصيدة الشهيرة : (بانتظار البرابرة)، وقبله كان بالاماس، و معه و بعده جاء شعراء عديدون مثل ريتسوس الشاعر الذي حاز على جوائز دولية عديدة ، وحاز على أكبر انتشار معروف على المستوى الشعبي داخل اليونان وخارجها، حتى أصبحت قصائده التي لحنها له الموسيقي اليوناني العالمي ثيوذوراكيس، من أكثر الأشعار المعاصرة في العالم انتشاراً في بلدها.

ولئن حالت ظروف معينة دون تكريمه بجائزة نوبل، فقد كرمه شعبه وكرمه شعراء العالم الأكثر شهرة في العالم مثل آراغون و نيرودا، فقد وصفه آراغون بأنه أعظم شاعر حي في العالم، وقال عنه نيرودا : « لا أقبل أن تقارن أشعاري إلا بأشعار ريتسوس».

وأخيراً لابد لنا من ذكر شاعر كبير آخر هو إيليتيس صاحب الملحمة الشعرية «كفؤاً يكون» التي حرص فيها على التماهي مع التراث البيزنطي، الذي أثر لفترة طويلة على مناطق واسعة، من شرقي المتوسط، و أواسط آسيا و سواحل

البحر الأسود وصولاً حتى شواطئ البلطيق، لقد انطلق إيليتيس في هذه الملحمة الشعرية ، من البيزنطية كلغة وكتعابير وصور تراثية غنية، كي يصل إلى الحاضر، وإلى محاولة رسم الطريق نحو المستقبل، وقد حاز الشاعر على جائزة نوبل عام ١٩٧٩ تقديراً لمجمل أعماله، ولكن قرار لجنة التحكيم أشار إلى هذه الملحمة الرائعة .

مع كل هذه الإنجازات الكبيرة للشعر اليوناني الحديث ارتقى الأدب اليوناني إلى مصاف العالمية، و رغم ذلك لايعرف محبو الشعر في بلادنا ما يكفي عن هذا الإرث الغني، ذلك أن ما ترجم منه إلى العربية لا يشكل شيئاً كافياً لتكوين صورة شاملة تنصفه وتعطيه حقه، وكأن العهد القائم قديماً بين الحضارتين العربية واليونانية ذوى و ذبل، و رغم ذلك فإنني أعتقد أن الجذر المشترك للتبادل الثقافي والحضاري القديم بين هاتين الحضارتين، هو أكبر من أن يموت ، إنه غائر في أعماق التاريخ، ويصل إلى ما قبل بداية التاريخ المكتوب ، وهو مستمر اليوم في إيماءات الحياة اليومية، وفي القيم الثقافية و الاجتماعية المشتركة، وفي الأمثال الشعبية .

وضمن إطار أجواء هيمنة ثقافة و لغة المركز العالمي الواحد ، فإن مشروع النهوض الثقافي و الحضاري العربي لا بد له من إعادة إحياء الروابط القديمة التي عاشتها ثقافتنا، للانطلاق نحو عالم الحوار بين ثقافات ولغات متعددة.

فليكن هذا الكتاب محاولة صغيرة وخطوة على الدرب ، من أجل ردم هوة اتسعت بين حضارتين عظيمتين في شرقي المتوسط، و من أجل تقديم شاعر قد ربط حياته وشعره و إبداعه بإرثه الحضاري الوطني ، فهو الذي أضاع حياته باحثا عنها بين أحجار منخورة بالية، بين الأحجار والنصب و الأوابد العظيمة التي خلفتها الحضارة الإغريقية.

دمشق ٢٠٠١/٦/١٥ **بشار عباس**

نبـذة عن

حيـاة سيفيريس وإبداعه

(١٩٠٠ – ١٩٧١)

هو أول شاعر يوناني ينال جائزة نوبل للآداب، ففي عام ١٩٦٣ كرمت لجنة جائزة نوبل الشاعر اليوناني الكبير سيفيريس، بعدما انتظر الشعب اليوناني طويلاً متوقعاً تكريم أحد شعرائه الذين حلقوا في سماء الشعر مثل : كافافيس وبالاماس و ريتسوس .

ولد يورغوس سيفيريس (اسمه الحقيقي ي.س. سيفيرياذيس) في ٢٩/٢/١٩٠٠ في مدينة إزمير، وسط عائلة مثقفة معروفة باهتماماتها وتوجهاتها الأدبية المرهفة، فوالده ستيليوس سيفيرياذيس (أستاذ القانون الدولي في جامعة أثينا) كتب قصائد الشعر الغنائي، وهو أفضل من ترجم أشعار اللورد بايرون إلى اليونانية.

كتب سيفيريس أولى قصائده عام ١٩١٤، وعندما أنهى دراسته الثانوية في أثينا، أقام في باريس (١٩١٨ -١٩٢٤)، حيث حصل على شهادة الحقوق، وتعمق بدراسة الأدب الفرنسي، وبعد حصوله على شهادة الحقوق، أقام لمدة عام في لندن (١٩٢٤) بهدف التمكن من اللغة الإنكليزية.

عُين سيفيريس ملحقاً في وزارة الخارجية اليونانية عام ١٩٢٦، إلا أن عمله الدبلوماسي لم يبعده عن اهتماماته الأدبية، وظهر أول أعماله الأدبية في مجلة (البؤرة الحديثة - نيا إستيا) من خلال نشر ترجمة ((أمسية مع السيد تست)) لـ بول فاليري، التي تعد أول أعماله الأدبية، إذ أن سيفيريس كان يردد دائماً اقتراحه باستبدال مصطلح (ترجمة - ميتافراسيس) بمصطلح (إعادة كتابة - ميتا غرافي)، لأنه كان يؤمن أن الترجمة هي عمل إبداعي قائم بذاته.

أمـــا إبداعـــه الشعري فقد بدأ في عام ١٩٣١، حيث نشر مجموعته الأولى (انعطـــاف)، ذاك العمـــل الـــذي كان مقدراً له أن يفتح آفاقاً جديدة أمام الشعر الـــيوناني، ونتج عنه تغيير جذري في الوضع الشعري الموروث، وبذلك بدأت تسود الأشكال الحديثة في فن الشعر اليوناني.

عُـــين في الفترة (١٩٣١-١٩٣٤) قائماً بأعمال القنصل اليوناني في لندن، ثم عـــاد إلى أثيـــنا وشارك بنشاط في إصدار المجلة الأدبية الطليعية (الآداب الحديثة - نـــياغراماتا)، واستمر في بحثه الدائم عن آفاق الشعر الحديث فنشر: (البحيرة) عام ١٩٣٢، إلا أن مجموعـــته (قصـــة) تـــبقى هي الحاسمة في تكريس أشكال «الشعر الحديث» اليوناني.

في الفـــترة (١٩٣٨-١٩٣٩) نشر الشاعر في مجلة (نيا غراماتا) سلسلة من القصـــائد والمقالات، يبقى أهمها دون شك: (حوار حول الشعر)، الذي يعد الآن أحد أهم الآثار الكلاسيكية للشاعر، وهو نقـــاش جوهري حول مشكلات الشعر مـــع الأديـــب ورجل السياسة اليوناني قسطنطين تساتسوس (الذي أصبح فيما بعد رئيساً للجمهورية).

تأثر سيفيريس كثيراً بالشاعر المعروف ت.س. إليوت، ونشر الترجمة اليونانية لقصيدته (الأرض اليباب)، وهي أهم ترجمة لها حتى الآن، وزودها بمقدمة وتعليقات وإرشـــادات مرجعية، كما نشر سيفيريس عدداً كبيراً من القصائد المترجمة لشعراء آخرين إنكليز وفرنسيين.

في عـــام ١٩٤٠ نشر الشاعر مجموعتيه (كراس تجارب) و (يوميات سفينة) كما نشر الجزء الأول من (قصائد ا) الذي ضم قصائده ومجموعاته السابقة.

وفي ٢٢/٤/١٩٤١ انتقل الشاعر إلى جزيرة كريت، ليلتحق بالحكومة بعد الاحتلال الألماني لليونان، وتبع الحكومة في تنقلاتها إلى مصر (الاسكندرية) ثم إلى جنوب إفريقيا، وفي عام ١٩٤٤ نشر الشاعر نتاجه الفكري حتى ذلك الحين تحت عنوان (تجارب).

في عام ١٩٤٥ عاد إلى وطنه بعد تحريره، وعمل مديراً للمكتب السياسي لنائب الملك، وفي العام نفسه نشر مجموعته (يوميات سفينة ب)، التي استقبلها الوسط الأدبي بتقدير كبير، مما أدى إلى تكريم الشاعر بجائزة بالاماس.

و في نهاية عام ١٩٤٥ انفجرت الحرب الأهلية اليونانية، التي استمرت طويلاً وكلفت اليونانيين خسارات كبيرة بشرية ومادية، إلا أن الأثر الذي بقي بعدها كان أفدح من هذه الخسائر، فقد انقسم اليونانيون انقساماً عميقاً استمر ثلاثين سنة على الأقل. وقد تأثر الشاعر بالمأساة التي عاشها شعبه، ورغم أنه لم يتخذ موقفاً سياسياً حاسماً إلى جانب أي طرف، إلا أنه دان هذه الحرب، وكان ذلك واضحاً في قصائده :

أعمى (١٩٤٥) – تحيز (١٩٤٦) – أوديب (١٩٤٨) – Canzonz (١٩٤٩).

في عام ١٩٤٨ نشر مجموعته (كيخلي – شحرورة)، وفي العام نفسه انتقل ليعمل مستشاراً في السفارة اليونانية في أنقرة، وفي عام ١٩٥١ انتقل إلى السفارة في لندن، وفي الفترة (١٩٥٣–١٩٥٦) عمل سفيراً في بيروت.

في عام ١٩٥٣ أقام لفترة قصيرة في قبرص، مما أوحى له بمجموعة من القصائد نشرها تحت عنوان (قبرص..التي كرستني)، والتي نشرت في الطبعات التالية تحت عنوان: (يوميات سفينة ج).

في عــام ١٩٦٠ منحــته جامعة كامبردج لقب دكتور في الأدب، وفي عام ١٩٦١ حصل على جائزة Foule، إلا أن قمة تكريمه الدولي أتت في عام ١٩٦٣ بمنحه جائزة نوبل للآداب.

بعد جائزة نوبل لم ينشر الشاعر سوى مجموعة وحيدة (ثلاث قصائد خفية) عام ١٩٦٦، إلا أنه نشر أيضاً أعمالاً مترجمة رائعة (عام ١٩٦٦):

- نشيد الإنشاد.
- رؤيا يوحنا.
- إعادة كتابة.

ونشــير هــنا أيضاً إلى أن عنوان (إعادة كتابة) هو بديل لعنوان ترجمة، لأن الترجمة في رأي سيفيريس هي حالة إبداعية يعيد فيها المترجم كتابة النص الأدبي.

عــندما مُـنح جائزة نوبل كان الشاعر قد انسحب من الحياة الدبلوماسية، واســتقر في منزله في أثينا الذي لم يبدله حتى وفاته، وهناك واجه سيفيريس الحدث الأهــم في حــياته وحياة البلاد، فمع الانقلاب العسكري في ١٩٦٧/٤/٢١ واجه ســيفيريس خياراً لا مفر منه، فقد كان حتى ذلك التاريخ يتجنب أي انخراط مباشر أو تصريح علني مباشر حول الأمور السياسية الداخلية، إلا أن الانقلاب العسكري وضعه أمام واجب الدفاع عن المثل الديموقراطية.

في البداية واجه الشاعر الحكم العسكري سلبياً، فقد اتخذ قراراً بعدم نشر أي شيء جديد في ظل الديكتاتورية، ولكن المسؤولية الكبرى التي شعر بها، والقوة التي منحــتها له جائزة نوبل، وضغط أصدقائه كل ذلك أدى إلى خروجه التاريخي عن صــمته، عندما نشر في ١٩٦٩/٣/٢٨ و تحت عنوان « تصريح » ، متخذاً موقفاً سياسياً واضحاً من الديكتاتورية، حيث قال :

« مضـــى وقـــت طويـــل منذ اتخذت قراري بالابتعاد عن الشؤون السياسية للبلاد، وقد شرحت دائماً أن هذا لا يعني إطلاقاً عدم اهتمامي بحياتنا السياسية» .

ثم:

«مضـــى عامان منذ فُرض علينا نظام مناقض تماماً للمثل العليا التي حارب من أجلها عالمنا، وحارب من أجلها شعبنا بشكل ساطع في الحرب العالمية الأخيرة» .

ثم:

«تعلمـــنا جمـــيعاً ونعرف أن بداية الأنظمة الديكتاتورية قد تبدو سهلة، ولكن المأساة التي لا يمكن تفاديها تبقى في النهاية».

وأخيراً:

« أنـــا إنســـان بلا ارتباط سياسي على الإطلاق، وأستطيع القول إنني أتحدث دون أدنى خوف ودون أية رغبة أو طموح. وإني أرى أمامي الهاوية التي يقودنا إليها الاستبداد الذي غطى البلاد. هذا الشذوذ يجب أن ينتهي، إنه نفير قومي» .

ولم يكن هذا النص هو رد فعل الشاعر الوحيد ضد الديكتاتورية، فقد نشر عـــام ١٩٦٨ قصـــيدة (قطـــط آي نـــيكولا) أشار فيها بغموض إلى موقفه المعادي للديكـــتاتورية، أما قصيدته (فوق الشجيرات الشائكة) عام ١٩٧١ التي كتبها قبل موته بســـتة أشهر، فقد كانت واضحة، ويعتقد أنها القصيدة الأخيرة التي كتبها الشاعر، وهذا (النشيد الختامي) يأتي ليلخص شعرياً مضمون (التصريح) المذكور آنفاً.

وبغـــض الـــنظر عما مثلته هذه القصيدة سياسياً، فإنها أكدت للمرة الأخيرة على الطريقة التي كان سيفيريس يستوحي بها أعماله، ويؤسس ويبني بها قصيدته.

وعموماً فإن كل الفنانين يستوحون أعمالهم بالطريقة نفسها: **في البداية شيء غـــير محـــدد يظهـــر للشاعر، ويضيء له كالصاعقة مساراً معيناً للحظة واحدة، هذا** الشيء البدائي يوقظ في داخلهم كل ما هو جاهز ليستيقظ في تلك اللحظة.

وبذلــك تســتيقظ عناصر أخرى كثيرة، قد تكون كامل حياتهم الماضية الميتة المدفونة في نفوسهم.

سيفيريس كسائر الشعراء الكبار مثقف، كثير القراءة، وكل ما كان يترك له انطــباعاً قوياً مقطعاً أو جملة أو حتى كلمة واحدة كافياً ليوحي له بقصيدة، **كما تكفي شرارة لتحرق غابة بأكملها.** وهنا الحالة المعاكسة، لأن الشاعر لا يحرق ولا يدمر بل يبني ويبدع ويخلق عوالم جديدة.

قــرأ سيفيريس كثيراً من الكتب القديمة وقصيدة (ملك أسيني) وهي إحدى أهــم قصائده، تعود إلى كلمة قرأها في إلياذة هوميروس، لأن أسيني هو اسم إحدى المدن الإغريقية القديمة التي ورد ذكرها في الإلياذة.

وقصــيدة (فوق الشجيرات الشائكة) يدين بها إلى اسم آذريوس، وهو طاغية مخيف ذكر اسمه أفلاطون في جمهوريته، والقصيدة ليست سوى وصف لحادثة عقاب الطاغــية آذريــوس. إعــادة تشــكيل الحدث تسمح بإسقاطه على باباذوبولوس الدكتاتور اليوناني آنذاك. **وقبل أن يقدم الشاعر تشكيله الجديد يخلق إطار اللوحة ثم الشــكل ثم خلفــية اللوحة، وعادة يكون الإطار هو مكان ما يتذكره الشاعر بعدما اســتمع أو قــرأ كــلمة موحية من الكتب القديمة وبعد ذلك يغلف القصيدة بالمعنى المقصود .** وهنا في هذه القصيدة ، المكان هو مكان أثري وهو سونيو، اختاره الشــاعر كــي ينســجم مع الحدث – محور القصيدة، أو ربما اختاره كي يشير إلى المحاولــة الانقلابــية الــتي قــام بها أليكسيس باناغوليس ضد حكم باباذوبولوس الديكتاتوري، وهي المحاولة التي فشلت بالإطاحة بالحكم الديكتاتوري .

ونقدم فيما يلي ترجمة لهذه القصيدة:

فوق الشجيرات الشائكة

جميلة كانت سونيو،

في يوم البشارة ذاك

مرة أخرى مع الربيع.

وريقات خضراء قليلة، تحيط بالحجارة الصدئة

تراب أحمر وشجيرات شائكة،

تبدو أشواكها الكبيرة جاهزة

وأزهارها الصفراء.

ومن بعيد أعمدة تاريخية قديمة، وأوتار قيثارة،

ما تزال ترجّع الصدى،

سكينة...

ما الذي ذكرني بآذريوس ذاك ؟

لعلها كلمة في كتب أفلاطون،

ضائعة في تلافيف عقلي ....

اسم الشجيرات الصفراء...

لم يتغير منذ تلك العصور،
وفي المساء وجدت المقطع:
«قيدوه يداً لقدم» ،
ــ يقول لنا أفلاطون ــ
رموه أرضاً ثم سلخوه،
جروه بعيداً ومزقوه،
فوق الشجيرات الشائكة.
وأخذوه ورموه في جحيم تارتاروس،
خرقــة رثــة.
هكذا في العالم الأسفل كان يدفع ثمن أذيته
«بامفيليوس أذريوس» الطاغية البائس.

في السنة الأخيرة من حياة الشاعر (١٩٧١) كان بالكاد يتحرك جارّاً قدميه معتمداً على شخص آخر، ولكنه استمر في عمل دؤوب وشاق، وكان يدرس ويجمع مخطوطاتــه، ويحضر لطبعات جديدة ولرحلات جديدة، إذ أنه كان يخطط للسفر إلى قبرص في صيف ١٩٧١ ليقيم في أموخوستو التي طالما أحبها، ولكنه لم يستطع إنجاز ما خطط له، فقد داهمه المرض وتوفي في مستشفى إيفانغليزموس في أثينا ١٩٧١/٩/٢٠.

* * *

مختـارات
من شـعر سـيفيريس

منطق العشق

– مقاطع –

على ضفاف شاطئ خفي،
أبيض كحمامة،
عطشنا عند منتصف النهار،
ولكن الماء أجاج.
فوق الرمال الشقراء..
كتبنا اسمها،
ما أروع الريح إذ هبّت،
وانمحت الكتابة.

بأي قلب، بأية أنفاس،
بأي ألم، بأية رغبة،
سلكنا درب حياتنا خطأً،
وغيرنا الحياة.

* * *

أين اختفى ذاك النهار، صارم بحدين،
الذي غير كل شيء؟
أليس ثمة نهر نبحر فيه؟
أليس ثمة سماء تقطر ندىً؟
من أجل روح خدرها وأنعشتها زهرة اللوتس.

على صخرة الصبر
ننتظر معجزة تفتح أبواب السماء،
فيغدو كل شيء متاحاً،
ننتظر الملاك كما في مسرحية إغريقية قديمة،
ساعة تضيع آفاق الأصيل.

ورود..
زهرةً حمراء للريح والقدر،
تبقين فقط..
إيقاعاً منقوشاً في الذاكرة.

مررت بي..
زهرةً لليل،
عاصفةً من الأرجوان..
عاصفة بحرية..
والعالم يصبح بسيطاً.

قصـــة

يقدم الشاعر في هذه القصيدة صوراً رائعة، بحس جمالي جديد، صوراً محبوكة بعناية. ويقدم فيها أولى تجاربه في مجال البحث عن الذات والوطن والأمة والتاريخ والعلاقة بالتراث، عن الموت والحياة . كما يقدم حواراً غنياً مع الحضارة الأغريقية القديمـــة الـــتي ينـــتمي إليها، عبر رموز هذه الحضارة: التماثيل المرمر السفن المهجورة الحجارة الصدئة البيوت المهدمة، ويربط الماضي الذي عاشه أسلافه مـــع الحاضـــر عبر الطبيعة: عبر أشجار الصنوبر والدلب والغار واللوز، عبر البحر والمياه والآبار، عبر العشب الطري والتراب الأحمر.

في هـــذه الوحـــدة المـــتكاملة بين الشاعر وواقع شعبه وتراث أمته ، يتوحد الشاعر مع رموز حضارته عبر زمن لا نهائي تتداخل فيه الحياة مع الحلم ومع الموت، ليصـــل في نهايـــة القصيدة إلى نقطة مضيئة تزهر فيها شجيرات اللوز، وترتفع روح الشاعر وروح شعبه قليلاً إلى الأعلى.

* * *

قصـــة

– مقاطع –

صخرات ثلاث، وبضع أشجار صنوبر محروقة،
وكنيسة صغيرة مهدمة،
وإلى الأعلى المكان نفسه منسوخاً،
يبدأ من جديد.

صخرات ثلاث صدئة على شكل بوابة،
عدة أشجار صنوبر محروقة سوداء وصفراء،
وبيت صغير مربع مغطى بالكلس...
وإلى الأعلى أيضاً، مرات كثيرة ،
المكان نفسه..يبدأ من جديد،
حتى الأفق ، حتى سماء الأصيل.

*   *   *

أغوص الآن في الحجر،
شجرة صنوبر صغيرة في التراب الأحمر،
لا رفقة لي غيرها .

* * *

استيقظت وهذا الرأس المرمري في يدي،
إنه يضني مرفقيّ ...
لا أعرف إلى أين أستند،
كان يسقط في الحلم لحظة خروجي من الحلم...
وهكذا اندمجت حياتنا،
وسيكون صعباً جداً ،
أن تنفصل من جديد.

انظر، بعيون ليست مفتوحة ولا مغلقة،
أتحدث بفم يحاول دائماً أن يتكلم،
أمسك بالوجنتين اللتين تجاوزتا الجلد،
لا أملك قوة أخرى،
ضاعت يداي واقتربتا مني،
مبتورتين.

* * *

ولكن عمَّ تبحث أرواحنا؟
مسافرةً على متن سفن مهجورة،
محشورةً وسط نساء صفر وأطفال يبكون،
لا يمكن نسيانها،
لا مع الأسماك ولا مع النجوم،
التي تضيء طرف الصواري،
وأرواحنا مسحوقة على منصات المصورين،
مرتبطة دون إرادتها بمزارات غير موجودة،
متمتمةً أفكاراً مكسرة من لغات أجنبية.

ولكن عمَّ تبحث أرواحنا؟
مسافرةً فوق أخشاب بحرية مهشمة،
من ميناء إلى ميناء.

عمَّ تبحث؟ محركةً أحجاراً صدئة من مكانها،
متنشقةً عبير الصنوبر المنعش،
ولكن.. أصعب فأصعب كل يوم،
سابحة في مياه هذا البحر ،
وذاك البحر،
دون لمس،

دون بشر،
في وطن لم يعد لنا،
ولا لكم.

كنا نعرف كم هي الجزر رائعة،
في مكان ما هنا،
قليلاً إلى الأسفل ، أو قليلاً إلى الأعلى،
في المجال الأضيق.

* * *

لفَّكِ النوم، كشجرة، بأوراق خضراء،
تتنفسين، كشجرة، في الضوء الهادئ،
في النبع الشفاف.. رأيت صورتكِ،
جفنان مغلقان ورموش تتخلل المياه،
أصابعي، في العشب الطري،
عثرت على أصابعك،
أمسكت بنبضك للحظة،
وأحسست هناك بألم قلبك،
تحت شجرة الدلب، قرب الماء، وسط أشجار الغار،
كان النوم ينقلكِ، ويقسّمك،
حولي، بقربي، دون أن أستطيع لمسك..كاملة.

متوحدة مع صمتك،

أرى ظلكِ يكبر ويصغر

ويضيع في ظلال أخرى

في العالم الآخر الذي كان يُطلقُكِ ويمسك بكِ.

* * *

الحياة التي مُنحناها، عشناها

فللتأسف لأولئك الذين ينتظرون بكل صبر،

ضائعين وسط أشجار الغار السوداء،

تحت أشجار الدلب القوية،

فللتأسف لجميع المتوحدين،

الذين يتحدثون إلى أحواض وآبار،

ويختنقون وسط دوائر الصوت ،

فللتأسف للرفيق الذي قاسمنا فاقتنا وعرقنا،

وغاص في الشمس، كغراب، أبعد من المرمر،

دون أي أمل في أن ينعم بمكافأتنا.

* * *

هذه الحجارة التي تغوص في الزمن

حتامَ ستأخذني؟

البحر، البحر ،

من يستطيع استنفاذه؟

أرى الأيدي كل فجر،

تشير للصقر،

مربوطة إلى صخرة وُلدت من ألمنا(*)،

أرى الأشجار تتنفس،

سكينة الأموات السوداء،

ثم الابتسامات، التي لا تتبدل ،

على وجوه التماثيل.

* * *

لماذا تعرفنا على قدرنا ذاك بمثل هذه القوة؟

متجولين وسط حجارة مكسورة.

ثلاثة أو ستة آلاف سنة.

(*) يشير الشاعر هنا إلى الأسطورة اليونانية التي تقول : إن البشر في بداية الخلق كانوا يعيشون دون نار (ربما المقصود : المعرفة)، إلى أن جاء برميثيوس، وسرق النار من جبل الأولمب ووهبها للبشر، فعاقبته الآلهة بأن قيدت يديه إلى صخرة، وسلطت عليه صقوراً تنهشه كل يوم. واليوم تنظر أوربا إلى هذه الأسطورة باعتبارها ترمز إلى قصة اكتساب المعرفة.

مفتشين في أبنية مهدمة،

التي ربما كانت ستغدو بيتنا.

محاولين أن نتذكر،

أحداثاً تاريخية وأعمالاً بطولية.

هل سنستطيع؟.

لماذا تجمعنا و تبعثرنا؟

وقاومنا صعوبات موهومة، كما قالوا

ضائعين، نجد طريقاً مليئاً بفيالق عمياء.

غائصين في مستنقعات، وفي بحيرة الماراثون.

هل نستطيع الموت بشكل عادي؟

* * *

عما قليل سنرى شجيرات اللوز تزهر،

سنرى المرمر يلمع في الشمس،

والبحر يموج،

عما قليل سنرتفع قليلاً إلى الأعلى.

إيــذرا

دلافين وبيارق وطلقات مدافع ،
كم هو البحر مر لروحكِ أحياناً؟
ارفعي المراكب البراقة الملونة المبهرجة،
اثنيها واغلقيها واجعلي كل شيء،
نيلياً بأجنحة بيضاء.

كم هو مر لروحك أحياناً؟
أنها الآن مليئة بالألوان في الشمس.

أشرعة بيضاء وضوء ومجاذيف رطبة،
تضرب الموجة الأليفة بإيقاع طبل.

كانت عيناك جميلتين لو نظرتِ،
كانت يداك براقتين لو أشرعتهما للريح،
كانت شفتاك كما سلف– متدفقتين حيويةً.

معجزة كهذه،

كنت عنها تبحثين.

عمَّ كنت تبحثين أمام الرماد؟

أو وسط المطر، في الضباب، في الريح،

ساعة بدأت تخبو الأضواء،

والمدينة تغرق.

* * *

الشـــعر

لا أريد شيئاً آخر، سوى أن أتحدث ببساطة ،

سوى أن تُمنح لي هذه النعمة،

لأننا أثقلنا الأغنية بكل أنواع الموسيقا،

وشيئاً فشيئاً، بدأت تغوص،

وزينا الفن بكل هذه الحلي،

حتى تآكل وجهه،

حان الوقت كي نقول كلمات قليلة،

لأن روحنا، غداً ستنشر الأشرعة.

❀ ❀ ❀

أيام من حزيران/ يونيو ٤١[1]

والآن، أشرق قمر جديد،

معانقاً الجزيرة القديمة الجميلة ،

نازفة مجروحة، الجزيرة الهادئة، الجزيرة القوية، البريئة ،

والأجساد كاغصان مهشمة ،

وجذور مقتلعة.

❀ ❀ ❀

[1] كتب الشاعر هذه القصيدة بعد احتلال الألمان لجزيرة كريت عام ١٩٤١، وكانت جزيرة كريت هي المعقل الأخير الذي سقط بيد الألمان.

ذاكرة ب ـ ايفيسوس

كان يتحدث جالساً ...

على قطعة مرمر كأنها من بقايا بوابة أثرية ،

إلى اليمين سهل فسيح وفارغ،

وإلى اليسار يخيم فيء الجبل :

«القصيدة في كل مكان ،

صوتك، أحياناً، يتقدم إلى جانبها ...

كالدلفين الذي يرافق للحظة،

مركباً ذهبياً تحت الشمس ،

ثم يضيع.

القصيدة في كل مكان،

كأجنحة الهواء، وسط الهواء ،

التي لمست أجنحة النورس للحظة .

مشابه ومختلف عن حياتنا

كما يتغير الوجه،

ورغم ذلك يبقى الوجه هو نفسه،

لامرأة تعرت.

يعرف ذلك كل من أحب في الضوء،

العالم يتآكل،

ولكن تذكّر،

أن آذيس[I] هو ذيونيسوس[II] نفسه».

أنهى كلامه وسلك طريقاً بعيداً

نحن الميناء القديم

الغائر وسط نبات الحلفاء،

في الغسق كأنه موت حيوان،

عارٍ كهذا .

..أتذكر أيضاً..

كان يسافر إلى أطراف إيونيّة[III] ،

إلى مسرح الأصداف الفارغة،

[I] آذيس: إله العالم السفلي في الأساطير اليونانية.

[II] ذيونيسوس: إله الكروم والخمر عند الإغريق، وهو يقابل أدونيس-تموز في الأساطير السورية-العراقية القديمة، إنه روح الطبيعة التي تنهض في الربيع، وكان الإغريق يحتفلون بذيونيسوس بشكل مشابه لاحتفالات السوريين القدماء، فكلاهما مات ميتة مريعة، وكلاهما يبعث من جديد في الربيع.

[III] إيونية: اسم منطقة إغريقية قديمة في آسيا الصغرى.

لا شيء هناك سوى السحلية التي تزحف،
على الحجر الجاف،
وسألتــــه:

«هل ستمتلئ..أبداً؟»

فأجابني:

«يمكن..ساعة الموت»

وركض إلى الأوركسترا مزمجراً:
«دعوني أسمع أخي»

وكان الصمت الذي لفنا قاسياً،
لا ينقسم في اللازورد.

كيخلي

عنوان قصيدة «كيخلي» يعني «شحرورة» وهو اسم مركب غارق على ضفاف جزيرة بوروس اليونانية.

من الصعب أن نتفهم هذه القصيدة دون أن نشير إلى خلفية حياة الشاعر وزمنه وعصره. ولد سيفيريس في إزمير عام ١٩٠٠، وفي عام ١٩٢٢ عندما كان يتابع دراسة القانون في باريس أصبحت إزمير مسرحاً لمعارك بين اليونانيين والأتراك، مما أدى إلى هجرة الأقلية اليونانية في غرب تركيا، عبر حركة هجرة إجبارية، وحمل الشاعر هذه المأساة، وتعامل معها على أنها قضيته الشخصية. وقد جاءت الحرب العالمية الثانية وما حملته معها من فظائع، لتزيد من قوة هذا الإحساس المأساوي العميق في نفس الشاعر.

و لم تصمت مدافع الحرب العالمية الثانية حتى بدأت نيران الحرب الأهلية تحرق اليونان، وتدمر أجمل ما كان يحمله الشاعر تجاه وطنه وأمته: روح الأخوة والتضامن.

ويأتي الشاعر من قلب هذه الحرب المدمرة، ليقدم لنا قصيدته "كيخلي" عام ١٩٤٦. (نشرت القصيدة عام ١٩٤٨).

من أين استوحى الشاعر اسم قصيدته؟

أنهى الشاعر كتابة القصيدة في ١٩٤٦/١٠/٣١، حيث أقام لفترة قصيرة في جزيرة بوروس، وهناك شاهد مركباً غارقاً، يبدو في قاع البحر، ويمكن مشاهدته

مـــن شاطئ الجزيرة، عبر حركة أمواج البحر، فكأنه الحد الفاصل بين عالمنا والعالم السفلي. هذا هو المركب «كيخلي» الذي أغرقه الألمان عام ١٩٤١ عندما احتلوا اليونان.

كيخلي قصيدة صعبة لأنها لا تتحدث عن تجربة شخصية فقط، بل عن هذه التجربة ضمن حركة الشعب والأمة، عبر الكوارث والهجرة المستمرة، عن التناقض بـــين "الضـــوء المطلق" والحركة الدؤوبة، وعن وحدتهما. كل ذلك يقدمه الشاعر بخلفـــية ثقافـــية موســـوعية، مستخدماً كل مخزونه التراثي،بدءاً من الإشارات، إلى الأســـاطير القديمة، وانتهاء باستخدام الفكر الفلسفي الجدلي الذي عرفت بداياته في الفلسفة الإغريقية.

ولعـــل أفضل ما نقدم به هذه القصيدة، هو ما كتبه الشاعر نفسه، في رسالته إلى صديقه الفرنسي «ليفيسك»:

(مكـــان كيخـــلي مكان واحد، لا يهم إن كان على شاطئ أتيكي [قرب أثينا]، أو في بحر إيجة، عند نهاية الصيف. البيت واحد، لا يهم أي بيت هو. وغرق كيخـــلي كـــأي غـــرق حدث في التاريخ، وقد سجل تاريخنا كثيراً من أمثال هذه الحوادث. كل ذلك أفادني في عرض المأساة، التي تتلخص في التناقض، في التصادم، بـــين الضـــوء المطلـــق (كما عرفتموه هنا) وبين الحياة (حياتي وحياة وطني وحياة العالم). هذا هو جوهر القصيدة.

مشـــاهد المجـــازر البشرية والموت في الجزء الثالث، مناشدة الحق (سقراط) والمتضرع (أوديب)، أبو الأخوة الأعداء. حركة الرحيل والعودة التي لا تنقطع بين الضـــوء ونقيض الضوء، معروضة هنا لكي تقمع هذا التناقض، هذا التعارض الذي يحـــل ليصـــبح وحدة واحدة «ضوء ملائكي وأسود»، مع تأكيد الوحدة بين لحظة الوميض والحياة الأبدية (المقطع الأخير: البيت المغمور والضوء).

لا أعـــلم إن كنـــت قد نجحت، ولكن هذا ما أردت قوله. لعل القارئ إذا عرف هذا المعنى الرئيسي المركزي (الذي يغلف الجزء الثالث) سيكون من الأسهل علـــيه أن يـــتابع الجزأين الأول والثاني، اللذين يهدفان إلى إيصال القارئ إلى الجزء الثالث، ضمن عرض هامس وبطيء. وهكذا استخدمت الجزء الأول موضوع البيت كمحـــرض «للذكريات»: ذكريات الطفولة، دون أن تكون تسجيلاً حرفياً لسيرتي الذاتـــية، ذكريات أولئك الذين مروا في الحياة (أولئك الذين ينامون تحت السلالم)، ذكريات تنعش هنا شيئاً فشيئاً روح النشوة عند امرأة تعود وتصعد السلالم.

في الجزء الثاني، تتحدث المرأة إلى إلبينوراس الشهواني، وهو رجل حساس عاطفي ومعتدل، وفقاً للمعنى الذي قدمه هوميروس، مما يسمح بتطوير موضوع العاطفة، باستخدام التماثيل، إما بسبب التردد أو بسبب عدم المهارة في التعبير. لأن التماثيل في هذه القصيدة لا تمثل شيئاً آخر، سوى الأجساد البشرية التي تحجرت لأنها فقدت أحاسيسها، فهي لا تنثني أمام الحب والعشق، وهي مبتورة تحت ضربات الزمن.

ومهمـــا كـــان الحـــوار بين إلبينوراس وكيركي، فإنه في النهاية يُقزّم وسط ضـــجيج حـــركة الحـــياة، يختفي خلف أغنية في المذياع (أغنية خريفية)، والأغنية تـــتفكك بدورهـــا في المقطع الأخير، ويتجاوزها عرض الأنباء. هذا الجزء ينتهي، بصـــوت الشاعر الذي يلفظ الكلمة الختامية بعد المقدمات، كلمة من طراز كلمات اسخيلوس: «الحرب، مكافأة الروح».

يـــبدأ الجـــزء الثالث بإعادة موجزة وأكثر جدية- لموضوع العاطفة، الذي يفيد في ربط هذا الجزء بما سبقه. (هذا الخشب رطب جبهته)، لم يعد يُسمع صوت كيركي، بل الصوت الذي يخرج من «الجانب الآخر من الضوء»، من جانب الظلام من جانب "كيخلي" الغريقة- وهو جانب القيامة.

كيخلـي

(مقاطع)

(١)

بيوتي، أخذوها مني،

في زمن السنوات الكبيسة المليئة بالحروب والكوارث... والغربة،

كان الصياد يعثر أحياناً على الطيور العابرة،

وأحياناً لم يكن يعثر عليها،

كان الصيد طيباً في زمني،

كثيرون أصابهم رصاص القنص،

وآخرون عادوا أو أصابهم الجنون في الملاجئ.

لا تحدثني عن البلبل ولا عن القبّرة،

ولا عن الكروان الصغير،

الذي يرسم أرقاماً في الضوء، بذيله.

لا أعرف أشياءً كثيرة عن البيوت،

أعلم أن لها أنسابها وسلالاتها، لا أكثر من ذلك.

تبدأ البيوت جديدة في البداية،

كالأطفال يلعبون في الحدائق تحت أشعة الشمس،
و تزركش البيوت مصاريع ملونة لنوافذها،
وأبواباً براقة في النهار.
وعندما ينتهي عمل المعماري،
تتغير البيوت، تتغضن أو تبتسم أو حتى تعاند،
هؤلاء الذين بقوا، أولئك الذين غادروا،
وآخرون سيعودون..إذا استطاعوا،
... أو الذين...تاهوا...
في عالمنا الآن، الذي غدا فندقاً هائلاً .

لا أعرف أشياء كثيرة عن البيوت،
لا شيء ملكي،
فوق سريري الحديدي أحدق بعناكب الليل،
..وأفكــــر،
احدهم يتهيأ للمجيء،
ويزينونه بملابس مزركشة،
وحوله آنسات محترمات، يهمسن بصوت خفيض،
شعر رمادي ودانتيلا قاتمة.
يتهيأ للمجيء..كي يودعني،
أو امرأة ذات أجفان لولبية و وسط منخفض

تعود ظهراً من موانئ،
إزمير وروذوس وسرقسطة والاسكندرية،
من مدن مغلقة كمصاريع النوافذ الدافئة،
بعطور الغلال الذهبية والأعشاب،
كيف تصعد السلالم دون أن ترى،
أولئك الذين ينامون تحت السلالم؟

❀ ❀ ❀

(٢)

رأيته أمس في الساعة السابعة،
يقف أمام الباب، تحت نافذتي،
ومعه امرأة...
كان له سلوك إلبينوراس،
قبل سقوطه وتمزيقه..بقليل،
ولكنه لم يكن مخموراً،
كان يتحدث بسرعة كبيرة ،
وهي كانت تحدق بلامبالاة بالمصورين ،
وتقاطعه حيناً لتقول جملة،
ثم تعود لتحدق بنفاذ صبر، كالقطة،
بعيداً ، في بحارة يقلون السمك،

وهو..كان يهمس، وعقب سيكارة مطفأة..بين شفتيه.

«اسمعي ذاك أيضاً.

في القعـــر،

تنثني التماثيل أحياناً، كالقصب،

التماثيل وسط الثمار الحية،

واللهب يصبح شجرة دفلى طرية ندية،

أقصد اللهب الذي يحرق الإنسان »

«إنه الضوء..ظلال الليل»

.

«ربما هو الليل الذي انفتح،

رمانةً زرقاء، خليجاً قاتماً،

وملأكِ نجوماً..

باتراً الزمن.

ولكن التماثيل..

تنثني أحياناً، تتقاسم الرغبة بين اثنين،

كالدراقة واللهيب،

يصبحان قبلة للجوارح، وشهقة،

ثم ورقة ندية تأخذها الريح،

تنثني، تصبح خفيفة، بثقل إنساني،

لا تنسي ذلك »

«التماثيل في المتحف»

.

"كلا، إنها تطاردكِ، ألا ترينها؟
أريد أن أقول، بأعضائها المكسورة،
بشكلها القديم الذي لم تتعرفي إليه،
ولكنك تعرفينه،
كما عندما تحب،
في أواخر شبابك،
امرأة جميلة، ولكنك،
بينما تحتضنها عارية في الظهيرة..
تخاف دائماً الذاكرة التي تستيقظ في حضنك،
تخاف ألا تفضحك القبلة،
في أسرّة أخرى سابقة،
لكنها الآن يمكن أن تسكنك،
وبالسهولة نفسها يمكن أن تبعث،
أصناماً في المرآة، أجساداً كانت ذات مرة،
شهوتها.
كما عندما تعود،
من الغربة ويصدف أن تفتح،
صندوقاً قديماً مغلقاً منذ زمن طويل،

وتجد خرقاً من الملابس التي كنت ترتديها،

في ساعات جميلة، في أعياد بأضواء..

ملونة مبهرجة، لامعة، تنخفض دائماً،

ويبقى فقط عطر الغياب،

لشكل جديد.

حقاً، الأنقاض ليست تلك،

بل أنت المحطم...

يطاردونك بنقاء غريب...

في البيت، في المكتب،

وفي حفلات الاستقبال الرسمية...

في غرف النوم الذي لا تعترف به،

يتحدثون عن أحداث كنت تتمنى أن لا تكون،

أو لو حدثت، سنوات بعد موتك،

وهذا..صعب لأن..»

«التماثيل.. في المتحف

تصبح على خير»

«لأن التماثيل ليست بعد أنقاضاً،

..بل نحن..،

التماثيل تنثني بخفة،
تصبحين على خير»

❁ ❁ ❁

إن كنت أحدثك عن حكايات ومقارنات،
لأن ذلك سيبدو أجمل...
ولا يمكننا التحدث عن الفظاعة لأنها حية،
لأنها خرساء وتتقدم،
ترشح في النهار ترشح في النوم،
ألمٌ لا ينسى.

❁ ❁ ❁

كدين قديم، نقود باقية لسنوات،
في صندوق رجل بخيل، وفي النهاية...
حان وقت التسديد،
وتُسمع النقود تسقط فوق الطاولة.

❁ ❁ ❁

(٣)

«هذا الخشب الذي كان يرطب جبهتي
–في ساعات منتصف النهار التي كانت تحمّ العروق–
يريد أن يزهو بين أيدٍ غريبة.

خذه، أهبه لك.
انظر، إنه خشب شجرة ليمون..»
سمعت الصوت،
بينما كنت أنظر إلى البحر كي أميّز
مركباً كانوا قد أغرقوه قبل سنوات.
كانوا يدعونه «كيخلي»، حادثة غرق صغيرة.
الصواري محطمة،
تتموج في قاع البحر بشكل مائل كحصيرة،
أو ذاكرة أحلام،
تبدو شبكة متن المركب كفم مغبش
لحديقة كبيرة ميتة
مطفأة في الماء..ويسود سكون مطلق.
أصوات أخرى شيئاً فشيئاً تظهر تباعاً بدورها
همسات رقيقة وعطشى،
تخرج من جانب الشمس الآخر، القاتم،
كأنها تفتش عن دم تشربه..قطرة.
كانت أصواتاً معروفة، ولكني لم أستطع تمييزها،
وجاء صوت العجوز، الذي أحسست به
ساقطاً في قلب النهار
هادئاً، كأنه ساكن:

«وإذا حكمتم بأن أشرب السم، شكْراً.
حقكم هو حقي.
أين أذهب؟
متجولاً في بلاد غريبة،
حصاة مكورة..
أفضّل الموت..
ما الأفضل؟ الله أعلم».

بلاد الشمس ! ولا تستطيعون مواجهة الشمس.
بلاد الإنسان ! ولا تستطيعون مواجهة الإنسان.

❀ ❀ ❀

بينما تمر السنون
يزداد القضاة الذين يدينونك.
بينما تمر السنون وتتحدث بأصوات أقل،
ترى الشمس بأعين أخرى،
وتعرف أن أولئك الذين بقوا، خدعوك..
هذيان الجسد، الرقص الجميل
الذي ينتهي بالتعري،
كما في الليل، حين تجول في البرية المقفرة،
ترى فجأة عيني حيوان تلمعان

ثم تغيبان، فتشعر كأنهما عيناك.
تنظر إلى الشمس، ثم تضيع في الظلام
الرداء الدوري[1]
الذي لمسته أصابعك فانثنى كالجبال
هو مرمر في الضوء، لكنه رأسه في العتمة.

❀ ❀ ❀

يمضون، يغزلون كالمغازل أيضاً
أجساداً عارية تغوص في الضوء الأسود،
بقطعة نقد بين الأسنان، يسبحون.
وبينما تخيط الشمس بإبرها الذهبية
أشرعة وأخشاباً مبللة وألواناً بحرية،
يهبطون الآن ،
نحو حصيات القاع....
المباخر البيضاء.

❀ ❀ ❀

ضوء ملائكي وأسود.
ضحكات الأمواج في عرض البحر.
ضحكات دامعة.

---

[1] دوري: ينتمي إلى الدوريين، من الأسلاف القديمين لليونان الحديثة.

يراك العجوز المتضرع

وهو يمضي، كي يتخطى درجات غير مرئية،

ضحك دامع منعكس في دمه ،

إنه العجوزالذي أنجب إيتيوكليس وبولينيكيس[I]

نمار ملائكي وأسود.

طعم أجاج لامرأة تسمم السجين.

فنن ندي يخرج من الموجة حزيناً بقطراتها.

غني يا أنتيغوني[II]، غني، غني..

لا أحدثكِ عن الماضي بل أحدثكِ عن الحب..

زيني شعرك بأشواك الشمس

أيتها الفتاة القاتمة.

غاب قلب العقرب،

وخرج الطاغية من الإنسان.

وبنات البحر جميعاً، حوريات وعجائز

يركضن إلى إضاءات المنبثقة[III]

وكل من لم يحب أبداً، سيحب الآن

[I] إيتيوكليس وبولينيكيس إبنا أوديب.

[II] أنتيغوني: ابنة أوديب.

[III] المنبثقة: اسم لإلهة الحب والجمال أفروديت التي انبثقت من محارة من زبد البحرعلى شواطئ قـــبرص، كمـــا تقول الأسطورة الإغريقية، ولعل في ذلك إشارة إلى انتقال الأسطورة إلى اليونان من قبرص ، حيث أسس الفينيقيون معبداً لعشتار.

في الضـــوء.

وأنتِ..

في بيت كبير بنوافذ عديدة مشرعة،

راكضة من غرفة لأخرى،

لا تعرفين إلى أين تنظرين أولاً،

لأن أشجار الصنوبر ستغادر، والجبال البراقة،

ورفرفة العصافير،

والبحر سيفرْغ،كزجاج مسحوق، من الشمال إلى الجنوب.

ستُفرغ عيناكِ من ضوء النهار.

ويتوقف فجأة وفي وقت واحد غناء جميع الجنادب.

❀ ❀ ❀

إنغـومي

عنوان هذه القصيدة هو اسم قرية مبنية على أنقاض حاضرة إغريقية قديمة، وأظهرت فيها الحفريات الأثرية تمثالاً متميزاً لأفروديت إلهة الحب والجمال عند الإغريق.

إنغومي تعني «تقريظ» أو «مديح»، وقد كتب الشاعر هذه القصيدة في مجموعته: «قبرص التي كرستني»، التي كتبها الشاعر بعد إقامة قصيرة في قبرص عام ١٩٥٣.

يتوج الشاعر في هذه القصيدة ميله الصوفي لتمجيد الأشياء التي بعثت الدفء في روحه في قبرص، فـ (إنغومي) مكان أثري عريق فيه بقايا قلاع، وجدران معابد وقصور وقبور ملكية، وتستمر الحفريات الأثرية مع احتمال انبثاق أعجوبة فنية إغريقية في أية لحظة، من تحت الأنقاض، لتبعث الحيوية في الحاضر الحالي، وتزينه وتحقق هذا التواصل مع حضارة عريقة، لتغطي الألم الذي يشعر به الشاعر واقفاً عند الأنقاض يحلم بالتاريخ ويعيش في ثناياه.

يكاد شعر سيفيريس ينحصر في البحث عن هذه العلاقة، عن حياة شعبه التي يريدها امتداداً لا ينفصل عن تراثه الفني الذي تجله وتقدره شعوب الأرض جميعها.

ولكن في هذه القصيدة يبدو موضوع الشاعر المفضل تحت ضوء جديد صوفي، في ضوء معجزة. تقلب مسرح الأشياء التي تشكل دائماً جوهر القصيدة لديه، ففي قصائد سابقة، يعطي الأولوية حسياً ونفسياً، لوجود الفراغ، للبحث عن شيء مفقود..ضائع.

بينما على العكس من ذلك، تتركز القصيدة هنا على ظهور «الشكل» بشكل صاعق بفعل المعجزة، والاحتمال الأكبر أن الشاعر يشير إلى معجزة ظهور

«الشكل»، ظهور تمثال أفروديت من تحت تراب التنقيب عن الآثار، يشير إلى معجزة انبلاج الفجر مع ظهور أفروديت.

وهكذا تصبح القصيدة ملحمة للانبثاق وفي الوقت نفسه مأساة «نهاية المعجزة»، فهذا التمثال، هذه المرأة، الجمال، الرمز، الفكرة، عندما تنبثق تضيء المكان الذي خرجت منه، تضيء رتابة الحياة اليومية الثقيلة المملة، إنها الجمال الذي يخلق طقس الانبعاث والقيامة، ولكن هذا الجمال عندما يخبو، تبدو الأشياء أثقل مما كانت سابقاً.

إنغومي قصيدة الوحدة المتكاملة، فريدة في نسيجها وفي سيكولوجيتها، إنها نشيد صوفي يمجد الجمال.

وتشبه قصيدة "إنغومي" لوحة فنية تمثل القيامة، قيامة الحضارة الإغريقية، ضمن إطار جو يوناني شعبي ريفي.

وجزيرة قبرص التي أثارت في نفس الشاعرهذا الدفء، وأنارت روحه بضوء المعجزة،هي المكان الذي تستمر فيه المعجزة، وخاصة إذا علمنا أن الشاعر كتب قصيدته عام ١٩٥٣، يوم كانت الجزيرة تغلي بعواطف الانتماء إلى الحضارة الإغريقية، وكانت الجزيرة تسعى للحصول على استقلالها، وتحررها من الاستعمار البريطاني.

وكان سيفيريس أول شاعر يوناني يدعم نضال القبارصة ضد المستعمرين، وسعى بكل علاقاته وصلاته مع عالم الفكر والأدب في بريطانيا لتدعيم التوجه نحو منح قبرص استقلالها.

ويرى الشاعر في القبارصة استمراراً للتراث الإغريقي، استمراراً لا تحققه إلا معجزة.

إنغـومي

سهل منبسط وفسيح
ومن بعيد
بدت حركة الأيدي تحفر
وفي السماء غيوم بمنحنيات عديدة هنا وهناك
والأصيل بوق ذهبي ووردي ،
و أنفاس الأرض الرقيقة بعد المطر
تحفُّ بالأعشاب القليلة والأشواك.
وهناك إلى الجانب الآخر
تتلون الجبال.

وأنا تقدمت نحو الناس الذين كانوا يعملون
رجال ونساء بفؤوس في الخنادق
كانت حاضرة قديمة
أسوار وطرقات ومنازل
تتفصّل كعضلات كيكلوباس[1] المتحجرة
تشريح للقوة المبذولة

---

[1] كيكلوباس: عملاق هائل ممسوخ ورد ذكره في الأساطير اليونانية القديمة.

تحت عين عالم الآثار، المخدّر، الجراح
تنحشر أشباح وحرائر، ترف وشفاه
وحجاب الألم مفتوحاً على مصراعيه
تاركاً القبر خلفه، يبدو عارياً وغير مكترث.

ونظرت ثانية، إلى الناس الذين كانوا يعملون
إلى الأكتاف المشدودة
إلى العضلات التي كانت تضرب الموت
بإيقاع ثقيل وسريع
كما لو كانت عجلة القدر التي تمر فوق الأطلال.

فجـــأة..

كنت أتمشى..ولا أتمشى
حدقت في العصافير الطائرة،
وكانت متحجرة كقطع المرمر.
حدقت في هواء السماء،
وكان مبهرا.
حدقت في الأجساد التي كانت تحارب ،
وكانت قد توقفت ،
وفي وسطها وجه يصعد إليه الضوء ،

الشعر أسود، ينسكب فوق العنق ،
وحاجبان هما رفرفة السنونو ،
وأنف يختال فوق الشفتين ،
والجسد يخرج عارياً ،
بثديي المرشدة[1] الغرير ،
رقص دون حركة.

وأنا خفضت بصري وتأملت حولي
فتيات يعجنّ.. دون أن يلمسن العجين
نساء يغزلن .. دون أن يبرمن المغازل
خرافٌ تُسقى،
توقفت ألسنتها فوق المياه المخضرّة،
كأنها نائمة
وناي الراعيْ يبقى دون نفخ.
ونظرت ثانية إلى ذاك الجسد الذي يصعد
وكانت قد تجمعت حشود، كالنمل
يرمونها برماحهم دون أن يدموها
والآن
يسطع بطنها كالقمر
فآمنت أن السماء هي الأم

---

[1] المرشدة: إحدى الصفات التي تطلق على أفروديت.

التي ولدتها ثم أخذتها
أم وطفل
ساقاها مرمريتان، لا تزالان،
ضاعا ثم عادا
والعالم
عاد ثانية كما كان: عالمنا
...عصرنا وترابنا.

عطور الأسل
حركت الجوانب القديمة للذاكرة
أحضان في الثنايا ، شفاه مبللة
وجفت الأشياء جميعاً
في لحظة واحدة.

باتساع الحقل
بيأس الحجر من القوة المتآكلة
ومن المكان الفارغ والعشب القليل والأشواك
حيث تنزلق أفعى دون أي اهتمام
ويمضي وقت طويل قبل أن يموتوا.

سالامينــا..قبـرص

سالامينا اسم سفينة حربية مقدسة لدى الأثينيين، في التاريخ اليوناني القديم.

«سالامينا.. قبرص» قصيدة محورية في مجموعة الشاعر: «قبرص التي كرستني» وتصوّر عالماً تلفه المشاعر والأحاسيس والرغبات والأفكار والمثل.

يقف الشاعر على شاطئ قبرص المشمس حيناً، الماطر العاصف حيناً آخر، ويشاهد الأعمدة القديمة (الإغريقية) وإلى جانبها كنيسة (آيوس إبيفانيوس).. (البيزنطية)، ثم عاشقين يعبران الشاطئ..إنه مرور لامبالٍ للحياة المتدفقة، وهو المرور الذي لا يتوقف، مهما كانت أهمية الحدث على مسرح التاريخ.

ويستخدم الشاعر في هذه القصيدة مقطعاً كان قد قرأه في صحيفة في جنوب أفريقيا عام ١٩٤١، وهذا المقطع هو الدعاء الذي ألفه مساعد القبطان اللورد هيوغ بيرسفورد.

«يــا رب
ساعدنا أن نتذكر الأسباب الحقيقية لهذه الحرب،
فلنتذكر الخطف والخداع والوصولية،
وفقدان الحب.
فلنطردها من مركبنا هذا.
وليصبح مركبنا نموذجاً للعالم الجديد
الذي نحارب من أجله».

سالامينا..قبرص

شمس الظهيرة حيناً
وحفنات من مطر خفيف حيناً آخر.
الشاطئ مليء بحطام الجرار.
أعمدة قليلة
وكنيسة آيوس إبيفانيوس
تشير بشحوب
إلى القوة المغروسة للإمبراطورية الذهبية.
جسدان شابان عاشقان مرا من هنا.
وجيب في الخلجان
أصداف وردية
وأسماك قرش صغيرة تقفز دون خوف فوق الماء،
وأحضان مفتوحة لعرس الرغبة
والسيد[1] فوق مياه كثيرة
فوق هذا الممر.

---

[1] السيد: يقصد السيد المسيح ، ويشير إلى معجزة سيره فوق الماء.

عندها، سمعت خطواتٍ على الحصى.
لم أرَ أحداً حين استدرت
كانوا قد رحلوا
ولكن الصوت كان ثقيلاً..كمشية المنهك
وبقي هناك في أوردة السماء
وفي تموج البحر
وضمن الحصى، أيضاً وأيضاً:

«ليس للأرض روافع
لينتزعوها ويحملوها على الأكتاف
..ويرحلوا

ولا يستطيعون مهما استبد العطش بهم
أن يحلّوا البحر بنصف مثقال من الماء.
وتلك الأجساد..
..مخلوقة من تراب لا يعرفونه
وهم..يحشدون الأدوات ليبدلوا أرواحها
ولن يستطيعوا
فقط سيفككونها
إن كان للأرواح أن تتحلل

لن تتأخر السنبلة قبل أن تثمر
ولن يمضي وقت طويل
حتى تنتفخ خميرة المرارة
لن يمضي وقت طويل
حتى يرفع الشر رأسه
والعقل المريض الذي يُفرَغ
لن يمضي وقت طويل
حتى يمتلئ بالجنون
أية جزيرة هي.[1] »

يا أصدقاء الحرب الأخيرة
في هذا الشاطئ المقفر الغائم
أفكر بكم، بينما يعود الزمن
أولئك الذين سقطوا في الحرب
وأولئك الذين سقطوا، سنوات بعد المعركة
أولئك الذين شهدوا الفجر من خلال صَبَرِ الموت
أو في الوحدة المتوحشة تحت النجوم
أحسوا فوقهم

---

[1] «أية جزيرة هي»: مقطع من مسرحية الفرس لاسخيلوس.

بالعيون الزرقاء الكبيرة للكارثة الكاملة
وحتى أولئك. الذين كانوا يصلّون
عندما كان الفولاذ الملتهب يثقب السفن:

«يا رب
ساعدنا أن نتذكر
كيف حدث ذلك الاغتيال المجرم
و الخطف والخداع والوصولية
وفقدان الحب
يا رب
ساعدنا أن نقتلع ذلك كله»

والآن، من الأفضل أن ننسى فوق هذه الحصى
وأن نقف لنتحدث
من يستطيع أن يثني رأي الأقوياء؟
من سيستطيع أن يُسمِعَ صوته؟
كلٌّ منا يحلم وحده دون أن يسمع
أصوات الآخرين المبحوحة.

نعم، ولكن ها هو حامل الخبر يجري
ومهما كانت طريقه طويلة
فإنه سيجلب لأولئك الذين
يسعون إلى تقييد هذا البحر بالسلاسل
رسالة سالامينا الرهيبة
صوت السيد فوق المياه
«أية جزيرة هي».

* * *

هيلين

هي القصيدة المحورية الثالثة في مجموعة: «قبرص التي كرستني»، حيث يبدأ الإيقـــاع المأساوي الرصين بالظهور، من خلال تنويع مختلف على أسطورة هيلين المعروفة والمذكورة في الإلياذة.

في هذه القصيدة يعبر الشاعر عن خيبة أمله وعن ألمه وعتبه على الخداع الذي حصـــده اليونانيون من تعاملهم مع حلفائهم في الحرب العالمية الثانية تحت شعارات النضال من أجل الحرية والإنسانية وحق تقرير المصير. ويجد الشاعر أن نضال قبرص للحصـــول عـــلى الاســـتقلال ينسجم مع هذه المثل، ولكن المحتلين لا يستجيبون لذكريات النضال المشترك.

بيـــنما كـــان الشاعر يجلس مؤرقاً في بلاترس إحدى مناطق قبرص الريفية، حيث لم يستطع النوم طوال الليل مفكراً في إشكالية العلاقة مع محتلي قبرص، حلفاء الأمـــس، وفجـــأة يـــنطلق تغريد البلابل في الغابة القريبة، فيتذكر الشاعر إحدى تـــنويعات أســـطورة «هيلين» كتبها أوريبيدس (ولم تسنح فرصة الانتشار لنسخة أوريبـــيدس لأنها كانت تختلف عما كتبه هوميروس). ووفقاً لهذا التنويع، لم تذهب هيلين أبداً إلى طروادة، فقد خطف باريس من بلاط مينيلاوس امرأة أخرى، ويفسر أوربيدس ذلك بأسطورة أخرى:

فقـــد غضـــبت هيرا، زوجة زفس كبير الآلهة، غضبت من باريس لأنه منح جائـــزة الجمـــال لأفروديت إلهة الجمال والحب. وقررت هيرا أن تنتقم من باريس، فصـــنعت شـــبيهة لهيلين، ووضعتها في القارب المتجه نحو طروادة، ونقلت هيلين الحقيقية إلى مصر ضيفة على ملك مصر بتوصية من هيرا.

هـــذه الأســـطورة لم تستطع أن تنتشر، لأنها تختلف عما تناقله الإغريق عن هوميروس، ولكن سيفيريس هنا يستفيد من الأسطورة ليقول: هل كان من المنطقي أن يحارب اليونان إلى جانب الحلفاء طوال الحرب من أجل شبح غير حقيقي؟ وهل كان منطقياً أن يحارب الإغريق من أجل شبح هيلين؟

فقد حارب اليونان في الحرب العالمية الثانية من أجل الإنسانية، وتحت شعار حق الشعوب في تقرير مصيرها، وعندما انتهت الحرب وجدوا أن ما قاتلوا من أجله كان سراباً، ووجدوا أن قبرص لم تحظَ بالاستقلال بالسهولة التي كانوا يأملونها.

ولعـــل مشاعر سيفيريس هنا تشبه المرارة التي أحس بها العرب في المشرق بعد الحرب العالمية الأولى، والمرارة التي أحس بها الجزائريون والتونسيون بعد الحرب العالمية الثانية.

* * *

هيلين

«لا تدعك البلابل تنام في بلاترس[1]»
أيها البلبل الخجول وسط حفيف أوراق الشجر
يا من يهب الموسيقا..نضارة الغابة
للأجساد المعزولة
والأرواح التي تعرف أنها لن تعود
صوت أعمى.
تتحسسه في الذاكرة الليلية
خطوات وإشارات بالأيدي،
-ولن أتجرأ أن أقول- والقبلات.
وعاصفة مرة لجارية غاضبة.

«لا تدعك البلابل تنام في بلاترس»

ما هي بلاترس؟ من يعرف تلك الجزيرة؟
عشت حياتي وأنا أسمع أسماء غريبة غير مسموعة
أمكنة جديدة

---

[1] بلاترس: قرية في قبرص.

جنون جديد للبشر وللآلهة
وقدري يموج
بين سيف أياس[I] الصلب
وبين سالامينا[II] جديدة.
قدري أحضرني إلى هنا إلى هذا الشاطئ
والقمر..
يبزغ من البحر مثل أفروديت
غطى نجوم رامي القوس
والآن يتقدم ليدخل قلب العقرب، ليغير كل شيء
أين هي الحقيقة؟
كنت أنا أيضاً رامي قوس في الحرب
لكن حظي، أنا الإنسان، ناله النسيان.

أيها البلبل الشاعر
في ليلة كهذه على شاطئ بروتفس[III]
سمعتك الإماء الاسبارطيات
فاسترسلن في غناء المرثاة
وبينهن من كان يتوقع ذلك ؟ - هيلين

[I] أياس: أحد أبطال حرب طروادة.
[II] سالامينا: مركب حربي مقدس لدى الأثينيين.
[III] بـــروتفس: أحد آلهة البحر عند الإغريق، كان يتمتع بميزة تبديل شكله واتخاذ مجموعة من الأشكال المختلفة.

تلك التي طاردناها، سنوات في سكاماندرو[I]
كانت هناك في فم الصحراء
لمستها، وكلمتني صائحةً:
«ليس حقاً، ليس حقاً
لم أدخل المركب ذا الجؤجؤ الأزرق
وأبداً لم أطأ أرض طروادة الشجاعة»

الشمس تتخلل الشعر، منهدة عميقة، وهذه القامة
ظلال وابتسامات في كل مكان
على الكتفين والفخذين والركبتين
جلد مليء بالحيوية
عيون بأجفان كبيرة
كانت هناك على ضفة الدلتا.

وفي طروادة؟
لا شيء في طروادة مجرد صنم
إنها إرادة الآلهة
وباريس[II] كان ينام مع ظل كأنه مخلوق حق
ونحن كنا نتناحر من أجل هيلين سنوات عشراً.

[I] سكاماندرو: نهر في طرودة.

[II] باريس: ابن ملك طروادة، ورد ذكره في الإلياذة، خطف هيلين زوجة مينيلاوس، مما تسبب بحرب طروادة المعروفة.

آلام عظيمة أَلّمت باليونان

كم من الأجساد سقطت؟

في فك البحر، أو في فك البر.

كم من الأرواح؟

سُحقت تحت الرحى، كالقمح.

والأنهار امتلأت بالطين الذي انتفخ دماً

من أجل تموج الكتان، من أجل غمامة

من أجل رفة فراشة، من أجل ريشة أوزة

من أجل قميص فارغ، من أجل هيلين.

أيها البلبل، أيها البلبل، أيها البلبل.

ما الإله؟ وما نصف الإله؟ وما الوسط بينهما؟

«لا تدعك البلابل تنام في بلاترس»

أيها البلبل الدامع

في قبرص التي تُقبِّلها مياه البحر

تذكرت الوطن

استلقيت وحيداً مع هذه الأسطورة

إن كانت حقاً أسطورة

إن كان الناس حقاً لن يبتلعوا ثانية

طعم الآلهة القديم.

إن كان حقاً
تفكروس[I] آخر بعد سنوات
أو أياس أو بريام أو إيكافي
أو شخص مجهول، لا اسم له

رأى سكاماندرو[II] يطفح جثثاً
ليس قدره
أن يسمع حامل الخبر يأتي ليقول:
إن كل هذا الألم، كل هذه الحياة
هُددت وسقطت في الهاوية
من أجل قميص فارغ
من أجل هيلين.

* * *

(I) تفركوس وأياس وبريام وإيكافي: من أبطال حرب طروادة.
(II) سكاماندرو: نهر في طروادة.

ثلاث قصائد خفية

أنفاس شجرة حور في بستان صغير
تقيس لك الزمن ،
ليلاً ونهاراً،
وكأنها ساعة مائية تحركها السماء.

بقوة القمر ،.
أوراق شجرة حور تجرجر خطوات سوداء،
على جدار أبيض.

وعند السور... شجيرات صنوبر،
ثم مرمر وإشراقة ،
وبشر أبدعهم الخالق بشراً.

وبينما تزقزق الشحرورة ،
عندما ترد الماء ،
تسمعين حيناً... صوت يمامة.

طاقات عشر.في البستان الصغير ،
يمر من خلالها ضوء الشمس ،
يسقط على قرنفلتين حمراوين...
... على زيتونة وزهر العسل.

القصيـــدة

لا تُغرِقي القضيدة في الدلب الكثيف،
غَذِّها بالتراب أو بالصخر،
و احفِري لتحديها هناك في المكانِ نفسه.

الشـــاعر

يقذفه المتسكعون بالقاذورات ،
بينما هو ينظر إلى التماثيل تقطر دماً.

مرآةٌ قاسية .....
.... الورق الأبيض،
فهو يعكس فقط...
تلك التي كنتِها .

الورق الأبيض يعكس صوتكِ،
صوتكِ الخاص ،
و لا يعكس صوتكِ كما تتمنينه، كما يعجبكِ.
موسيقاكِ هي الحياة ،
تلك التي هدرتِها.
قد تستعيدينها إن شئتِ ،
عندما تصلبين نفسكِ فوق ذاك الشيء اللامبالي
الذي يدفعكِ إلى الوراء ،
إلى هناك حيث انطلقتِ.

سافرتِ ورأيتِ أقماراً كثيرة ،
شموساً كثيرة ،
لمستِ أمواتاً و أحياءً ،

أحسستِ بألم شاب مقدام...
... و بتأوهِ امرأة..
... بمرارةِ فتىً يافعٍ ،
وكل ما أحسستِ به ينهار ، و يبقى دون أساس
إن لم تستودعيه ذاك الفراغ.

هناك...
ربما تجدين ما كنتِ تظنينه ضائعاً :
زهوَ الشباب،
و الانسياب المتعاقب للعمر.
حياتكِ.. هي ما منحتِه،
لذاك الفراغ ،
هي ما منحتِه للورق الأبيض.

و الآن...
بقلم العاصفة المتآكل ،
يبدو سطوع بحر الصيف ،
يبدو عري الحياة كاملاً ،
المرور و التوقف،
الرقاد والنهوض ،
الشفاه و البشرة المدللة ،
كلها تبحث عمن يحرقها.

تماما.... كخشب الصنوبر مشطوراً،
محاطاً بالراتنج،
يتعجل ولادة اللهب،

.. ولا يطيق بعد انتظاراً.

قومي فنادي الشبان ليجمعوا الرماد،
كي يبذروه،
فكل ما مضى .....
..........كان صحيحا ،
وكل ما لم يمر،
يجب أن يحرق ،
ظهراً ،
عندما تتسمر الشمس ،
عند زهرة عباد الشمس.

من سمع في هجير الظهيرة،
صرير السكين على المسنّ ؟
من الفارس الآتي ؟
حاملاً الهشيم و الجذوة ؟
جميعهم يغسلون الأيدي
كي يتبرأوا...
من بَقرِ بطونِ...
النساءِ والأطفالِ والبيوت ؟
ليس ثمة مذنب..... دخان.

من غادرنا...
طارقاً الدرب بحوافز حصانه ؟

عميان... ألغوا عيونهم،
ليس ثمة شهداء بعد ، من أجل لا شيء.

أعمى

كتب الشاعر هذه القصيدة في ديسمبر /كانون الأول عام ١٩٤٥، وهو التاريخ الذي شهد بداية الحرب الأهلية اليونانية، وهي حرب فظيعة أنهت رحلة الشاعر عبر العالم، انطلاقاً من مولده في إزمير، ثم عبر تنقله المستمر خلال الحرب العالمية الثانية مع الحكومة اليونانية، بعد احتلال اليونان، من أثينا إلى القاهرة ثم إلى جنوب أفريقيا، حاملاً معه هموم وطنه، وعندما عاد إلى الوطن منتشياً بفرحة التحرير، فاجأته الحرب الأهلية كطعنة في ظهره ، بل في قلبه، فهو الذي ارتكز شعره بأكمله على توحد صوفي مع التاريخ و الشعب اليوناني الإغريقي والبيزنطي، يفاجأ في لحظة فرح عارمة بانهيار كامل لأفضل ما عاشه و آمن به : روح الأخوة اليونانية، واستمرارية الحضارة اليونانية عبر التاريخ.فما كان من الشاعر إلاّ إدانة هذه الحرب المجنونة، بحس عميق بالمرارة، و خيبة مريعة للآمال التي آمن بها. فقال :

«عظام الأجداد منبوشة

مقالع مليئة ببشر مكدودين ،

أجساد معاقة بلا رفق»

لقد التهب حس يورغوس سيفيريس الإنساني و الوطني أمام مشاهد بلده التي هدها الاحتلال النازي، فلما تحررت، أجهز عليها أبناؤها في حرب لم يستطع الشاعر أن يفهمها أو يتقبلها، فأدانها :

«طرقات خالية وواجهات بيوت مشوهة،
عبدة الأيقونات و محاربو عبدة الأيقونات....
يتذابحون طوال الليل ».

و هـــاهو الضوء الذي يملأ المكان يصبح ظلاماً في عيني الحمامة — السلام — الوطن — الشعب — الأمة :

«كحمامة عمياء...
تمشي وتجس الأرض،
في المرج العميق،
و ترى ظلاماً....
خلف الضوء».

* * *

أعمى(*)

عميق هو النوم في بكور كانون الأول
أسود كمياه نهر الموت
بلا أحلام ولا ذاكرة بلا ورقة غار واحدة.

اليقظة تعمق النسيان كالجلد المضروب بالسوط،
والروح الضالة تبدو قابعة على بقايا...
من صور الجحيم.

راقصـــة،
قدماها تترنحان بعقبيها،
بصوت قوي على الحشود المرهقة هناك.

عميق هو النوم في بكور كانون الأول،
وكانون الثاني ليس أسوأ من سابقه(**)،
(بارغا)(***) في عام

(*)كتـــب الشـــاعر هذه القصيدة في كانون الأول ١٩٤٥وهو الشهر الذي شهد انطلاق الحرب الأهلية اليونانية.

(**)يقـــارن الشاعر هنا بين حالة اليونان في كانون الأول عام ١٩٤٤في نهاية الاحتلال الألماني لليونان، و بين كانون أول عام ١٩٤٥ يوم اندلعت الحرب الأهلية اليونانية.

(***) بارغا: مدينة يونانية شهدت بداية انسحاب الألمان.

و (سيراكوسس)[*] في عام آخر،
عظام الأجداد منبوشة...
مقالع مليئة ببشر مكدودين ،
أجساد معاقة بلا رفق ،
الدم مشترى و الدم مباع....
والدم موزع كأولاد أوديب ،
و أولاد أوديب موتى
طرقات خالية وواجهات بيوت مشوهة،
عبدة الأيقونات و محاربو عبدة الأيقونات....
يتذابحون طوال الليل .
مصاريع النوافذ مغلقة،
وفي الغرفة، يضيع الضوء قليلاً في الزوايا،
كحمامة عمياء...
تمشي وتجس الأرض،
في المرج العميق،
و ترى ظلاماً....
خلف الضوء.

كانون الأول عام ١٩٤٥

(*) سيراكوسس شهدت أول معارك الحرب الأهلية اليونانية.

آرغـو(*)

حكايتي ، تعلمتها قرب السفن..
لم أتعلمها من المسافرين أو البحارة،
و لا من أولئك المنتظرين على الأرصفة،
واقفين في كل مكان، باحثين في جيوبهم عن لفافات التبغ.

وجوه السفن تسكن حياتي،
بعضها تنظر جانبا بعين واحدة مثل (الكيكلوباس)(**) ،
تقف ساكنة في مرآة البحر،
وأخرى تتقدم كالسائر في نومه بطريقة خطرة،
وأخرى أخذها نوم القاع....
خشب وحبال وقلوع وسلاسل.

في كوخ ندي... في البستان،
وسط أشجار الحور و الريحان،

(*) آرغــو : سفينة إغريقية قديمة ورد ذكرها في الميثولوجيا اليونانية ، وهي من أشهر السفن الإغريقية القديمة في الأساطير القديمة .
(**) الكيكلوباس عملاق بعين واحدة في الأساطير اليونانية القديمة.

إلى جانب طاحونة هواء صدئة،

و إلى جانب حوض أصفر بسمكة ذهبيّة واحدة،

في كوخ ندي يفوح برائحة الصفصاف.....

وجدت بوصلة مركب بحري،

أرشدني إلى ملائكة الأزمنة،

التي تسكن في صمت الظهيرة .

تشرين الثاني ١٩٤٨

* * *

الإنسان الذي سرقوا ظله

سيأخذون منك ظل الأشجار، سيأخذونه
سيأخذون منك ظل البحر ، سيأخذونه
سيأخذون منك ظل القلب ، سيأخذونه
سيأخذون ظلك

١٩٤٧/٣/٥

* * *

كانت حظيرة خنازير جيدة

كانت حظيرة خنازير جيدة
لا شيء سوى الطين
كحلم منخفض
في القعر العميق.
لاشيء تحته والموت أشبه بموتكم
دون روية.

أنقرة ٢٢ /٨/ ١٩٤٩

* * *

فيلوكتيتس(*)

جسد مدمًّى ، البلد مدمًّى
العصر مدمًّى.

١/ ١/ ١٩٤٩

* * *

(*) فيلوكتيتس : أحد أبطال ألياذة هوميروس.

الأهرامات

إنها أثداء الرمل
التي ترضع السماء.
وهذه النخلة
هي ركيزة الشمس
الغائرة في الصحراء المطلقة.

١٥ /١١/١٩٤٢

* * *

ما الذي فقدته ايتها البائسة

كي تدعي عينيك

تبتلان وتختنقان

كالزهور المائية

تحت المطر ؟

هل تلمسين البحر

أم أنت ، أنت سكينة البحر

أيتها البائسة ؟

٤ /١٩٤١/١٠

* * *

ستة أبيات لا ثنتي عشرة مدية
إلى لينا ويورغوس سافيذي

α

على خنجر بحدين أكتب اسمك
لأغمده في القلب على صورة قامتك.

β

لا ترمي كلماتك كالقش في البيدر
جعلتِ قلبي و جعلتِ خنجركِ يتثلم.

γ

فصلتُ الدراقة بهذه السكين
كيفَ فتحتِ لي صدركِ تحت شمس الظهيرة.

δ

فتاتي بالمنديل الأسود ، لا تلعبي بالأسماك
فقد تلد سكاكين تذبح الفتيان.

ε

طعنتِني بنصل ، كنتِ القمر الجديد
أحمر عندما يمتلئ وعند غيابه كالهيكل.

στ

تألقت أوراق الغار كالعوسج المشتعل
يلعنه العدو ويباركه الصديق.

آمورغوس ٤/٩/ ١٩٦١

* * *

سافرت تعبت وكتبت قليلاً
ولكني فكرت كثيرا بالعودة أربعين عاما.
في كل محطات العمر يبقى الانسان طفلاً،
برقة المهد وببهيميته.
ويستكمل البحر ما عداه ،
كحضننا ، كصدى صوتنا.

١٩٥٤

* * *

أرياذني (*)

شفتاكِ رائعتان،

وقد أعجبتك الزيتونة التي عضضتِها.

الأحمر والناري والأزرق تلتقي

عندما تمتد اليد الى العقدة .

فتحرر الكلب والأرنب و الثور.

وتلمع الحيوانات ساخنة في النهار المغلق

وتنجدل جميعها في عروات بأعضاء مشدودة ،

الأسنان في العوسج ، شجيرات شائكة ،

وأصابع تداعب الضوء وكأنه شفة.

ذهبٌ اخترق قمة السماء البيضاء

وتأرجحا معا على حافة الهاوية ،

(*) أرياذني : ابنة مينوس في الأساطير اليونانية التي تروي أن أرياذني ساعدت ثيسفس في قتل مينوتافروس و هو مسخ برأس ثور وجسد انسان.

وصعدت أقسى قمم الجبال ،
وجسدك أجاج.

نرقص نموت ، نرقص ثانيةً
والقصبة منغرزة في الدلتا يوم فيضان
عميق... عصفور.. زهرة... مقبض... عمياء... أجرح...
متاهة.. ألف.. باء.. جيم.. دال.

بوروس ١٩٤٦/١١/٣

* * *

أفروديت

من أجل حبك.. غاصوا عميقاً جداً
والعصافير و الكرز والنجوم.
وسمكات البحر التي ساعدتني،
أن أطارد أرنبك بيديَّ.

١٩٤٦-٥-٢٧

* * *

بلا لون ، بلا جسد

يمضي هذا الحب

يتبعثر..يتجمع

يتبعثر مرة أخرى وأخرى

ولكنه يثور ويقاوم ،

في عضة التفاحة ،

وفي قطاف التين ،

وفي كرزة قرمزية ،

وفي حبة عنب بلون الرمان ،

ولكم هي متقلبة أفروديت

ستعطش ستولم ،

لفمٍ، وفمٍ آخر

دون لونٍ دون جسد.

١٩٤٥-٨-٢٨

* * *

الفهرس

الصفحة

الطبعة الأولى / ٢٠٠٥

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة





سعر النسخة داخل القطر ٦٥ ل.س   في الأقطار العربية مايعادل ١٢٠ ل.س

٢٠٠٥